نصر الله قريب

فى الفجر نولد من جديد..

« تَوْءَمًا ».. لحظة بزوغ المعجزة واختلاف الليل والنهار، نبدأ يومنا بإقامة القرآن - نتلوه حق تلاوته.

ونأخذ ما آتانا ربنا بقوّة، نستعين به على الحياة ودفع الأذى والاستقامة وتثبيت الخطا.

وفى كل مرّة نقف على نبع من نور ونتصل ببحور بالغة العمق.. واسعة المدى، محيطة بكل شىء، ودائمًا نكتشف شيئًا جديدًا ومبهرًا.

واكتسبنا بذلك عادةً جميلةً.. شغفتنا حبًّا، وأضفت على الحياة مذاقا رائعًا.. وبهيجًا.

obeikandl.com

نحن على موعد مع الله فى البكور - ساعة خلق المعجزة.

وتنفس يوم جديد .. تنصت لكلماته .. ونجد فيها « تبياناً لكل شىء » وما أروع أن نتحاب فى الله .. ونقيم قرآنه ، ونتدبّر آياته ، نحسن بها أسلوب عملنا .. ونصوغ بها أنفسنا . ونثرى معيشتنا وذواتنا .

توقفنا طويلاً أمام هذه الآية :

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب) .

فى كل زمان يأتى أناس ويحسبون أنهم « يدخلون الجنّة » بمجرّد الانتماء إلى الإسلام - تلك أمانيّهم -

الدين ليس جنسيةً تمنح صاحبها جواز المرور إلى العلا .. هكذا .

بل الدين عمل وأداء وإقامة .

الدين جهادٌ ، وصبرٌ ومجاهدة وعزمٌ وصلابة وقوّة احتمال أمام الشدائد ، والمصاعب والامتحان .

الإسلام نظام جامع ، يحدّد الحقوق والواجبات ويهدى القلوب .

والخطاب موجّه إلى المسلمين الأوائل ولكلّ زمان يأتى من بعدهم ، أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ، وتنالوا رضوان الله من غير أن تفتنوا فى سبيل الحق ، ويطبق عليكم شتى صنوف الابتلاء

والامتحان حتى يتبين صدق إيمانكم.. وثباتكم على الدين.

انظروا حال الأمم التى جاءت من قبلكم - وعلى رأسهم - الرسل - عباد الله المخلصين.. المختارين من بين البشر ليبلّغوا الأمانة وينشروا الرسالة عانوا أشدّ أنواع العذاب، والبلاء.. وأصابهم الضرّ، وتعرّضوا لصراعات شرسة وحروب مستطيرة.

حتى لقد اقترب بعض « الرسل » من حافة اليأس (وظنوا أنهم قد كذبوا) وبعضهم - ولّى الأدبار - أبق إلى الفلك المشحون.. وهرب من الله، ثم عادوا وندموا.. تابوا.. فجاءهم نصر الله ونجاهم - ومن معهم.

المسألة ليست ببساطة إذن مجرّد أن يقول الناس آمنّا يدخلون الجنّة ويميّزون عن سائر الخلق.

- هذا ظنّهم - لكن الإسلام موقف وعمل وموثق.

المسلم يلتزم بالوقوف بجانب الحق، ولا يخشى فى الله شيئًا ولا يكتم الشهادة، ويقاوم الظلم والقهر وأدوات إخضاع الناس لغير الله.

هذا الموقف الأوّلى - يجلب على صاحبه الشدّة والاضطهاد.. والتعذيب ووسائل الضغوط المستحدثة، وصنوف التعذيب النفسى والمادّى الابتلاء والفتنة والمحن هى التى تكشف معدن الإنسان الحقيقى.. وتؤكّد إيمانه.

وكثير من ضعاف الإيمان.. يفرّون من المعركة، ويستسلمون فى

بداية الطريق ويشترون السلامة المهينة. والمنفعة السطحية.

وبعضهم يسوّى بين ابتلاء الله.. وفتنة البشر.. ويجعل لله أندادًا، ويخضع عنقه للسلطان فى الدنيا.

وكثير منهم فى أتون المعركة مع الرسول « سقطوا » وقال المنافقون: (ما وعدنا الله ورسوله إلّا غرورا).

وتساءل المؤمنون - ومعهم - الرسل.. متى نصر الله ؟ يستعجلونه فى الشدّة.. وتجىء الإجابة المؤكدة.. والفعل الحاسم..

- إن نصر الله قريب - يشملنا العتاب الربّانى إذن..

أين نحن مما أصاب المؤمنين قبلنا ؟.

مسّنا الضرُّ حقًا.. وأوذينا.. وأخرجنا من ديارنا، ولكنّا دون الذين هاجروا وجاهدوا واستشهدوا.

علينا بمزيد من العمل الصالح، والمجاهدة والصبر أعلى مراتب الصبر والصمود.. حتى نتسامى إلى مرتبة الصدّيقين والصالحين والشهداء.

والخطاب موجّه للجميع الذاهبين والحاضرين، ومن يأتون من بعدنا.

يضمّنا « الاستفهام » كأمة وأفراد.

ودائمًا يتعرّض المؤمنون « جماعةً وأشخاصًا » لحروب.. وحصار، وزلزلة، فهل نثبت ونصابر ونجاهد.

اجتاحنا الزلزال.. من الخارج والداخل.. ويتصاعد حتى نصل

إلى مراحل انعدام الوزن، وأحرقنا السؤال - نردّده على - استحياء - متى نصر الله ؟.. ويجعل الله لنا فرجًا ومخرجًا.

« والحكّام والولاة » ضمن المخاطبين أيضًا من الرحمن..

كثير منهم يكتفون - بنسبهم - إلى الإسلام.. ويحكمون.. بل ويدعى « البعض » أنه يحكم بالإسلام!

ومع ذلك يسلبون حرّية شعوبهم ويكرهون الناس على الزيف والفساد، ويأكلون أموالهم بالباطل.. فعليهم أن يفيقوا من غفوتهم، ويراجعوا أنفسهم ويتعلّموا شريعة الله ويطبّقونها.

وتجيء الآية مكملة لما قبلها من آيات، وبعد أن تعرفنا على « مثلّث الصبر المهول » - البأساء.. والضرّاء وحين البأس - البرّ، أن تصبر على ثلاثية الصبر هذه.

والتقوى هى أن تقدر عليها..

هنا تتصعّد إلى الدرجات العلا، وتنال شرف عناية الرحمن.. وتجد وعد الله حقًا..

العزّة.. والغلبة.. والنجاة.. والنصر الأكيد.

ولنتأمّل كلمة « يقول » - حتى يقول الرسول -

لماذا جاءت بصيغة المضارع، برغم أنها من الماضى الموغل فى القدم والأقوام التى خلت من قبل - والأمم التى أحاطت بها الشدّة لدرجة استعجل بها - الرسل - نصر الله ؟..

صيغة المضارع جاءت لتصوير الموقف - على أنه حاضر -

وتصوّر الشدّة والهول، فيخفف ما نحن فيه الآن، وتثبت بنا الأقدام على مآسى القرن العشرين المروّعة -

لكى تلفتنا بشدّة - لما كان - ونعود لنطبق آيات القرآن على زمننا ومعاناتنا - وما يجرى من أحداث بيننا..

الأمر ممتد وقائم منذ ذلك التاريخ القديم حتى عصرنا.. والمستقبل أيضًا.

« وكأنها صيغة المضارع التام فى اللغات الأجنبية، تفيد الامتداد والاتصال.

ولعل صيغة المضارع للتأكيد - على وحدة الأمة -

فنحن - المخاطبين بالقرآن - كأفراد وجماعة..

ولو أن كل مؤمن عرف طريقه، ولم يفتن فى دينه، ولم يجعل ابتلاء الله كعذاب الناس.. لقويت جماعة المؤمنين، ونهضت الأمة وقويت، وجاءها نصر الله.

ونقول فى اطمئنان الحمد لله:

علينا طريق الصبر والمجاهدة.

نعمل لنفوز فى الامتحان، ونجد وعد الله « حاضرًا » بين أيدينا يسعى النصر، وتزف إلينا البشرى.

الموت صبرًا

يقول الإمام الشافعى :
« أخذت من القرآن علمًا عظيمًا » . قلت :
وزد يا أخى فنًا عظيمًا .

تعوّدت أن أستلهم قصص القرآن - وهى أحسن القصص - نخوض صراع الأبطال المختارين من البشر ، والمصطفين من الناس ونعيش الموقف كاملاً ، فوق أتون الصراع ، ثم يسطع نور الحقيقة ونصل إلى « لحظة التنوير » فى حياتنا ، إلى معنى الحياة ذاتها وكيف يجب أن نحياها .

والقصد من القصص القرآنى أن يتثبّت منّا الفؤاد ، ويتطهّر ونتعوّد أن نقيس بمقياس الدين ونصبر مثل أولى العزم من الرسل وحتى نكون ربّانيّين أنقياء أتقياء ، وتكون حياتنا حبًّا وسلامًا . ومن البيان المعجز ، والعظة البليغة لنا أن ننهل ونتعلّم كيف يكون هدف الكتابة للناس ؟ .

وفى قصص القرآن نجد مسرحًا متكاملًا مواقف باهرة نصل فيها إلى قمة الصراع بين الخير والشر، وتحتدم الأزمة وتصل « الحبكة » إلى مداها .. ثم تنفرج الأزمة ويسطع الحق. وأعجب أن يتأخر المسرح فى بلاد العرب والمسلمين ولدينا كل ذلك التراث الزاخر والمشاهد الموحية، ووقائع الصراع الدائم، والأبطال من الصفوة والعامة والآثمة قلوبهم وحكايا الطغاة مأساة وملهاة: دعينا لنلعب أدوارها ونخوض الصراع لو كنا مزوّدين بهداية العقل والدين، فيمكن أن نحسن أداءنا ونصلح أعمالنا .. ونستقيم لننتصر ونصل إلى أعلى مكانة، وإلى أسمى مراتب الرضا والصفاء.

* * *

يوسف أيها الصديق..

يالعتوّ المواقف التى اجتزتها فى حياتك، منذ أن كنت غلامًا صغيرًا .. موقف واحد منها يكفى حياة إنسانيةً بأكملها، ويكون الإنسان قد عاش وجرب وجاهد وصبر ونال رضاء النفس والله.

قصّة يوسف جاءت حافلةً بالبيّنات.. متشابكة الأحداث. تتفجّر بالصراع وبهوى الحدث فيها إلى قمة البؤس والإظلام، ثم تستقيم الأمور وتقع مفاجآت، من حيث لا يحتسب الأبطال والمشاهدون وجمهرة القراء.

ونصل إلى القمّة.. إلى العزّة والقوّة والجلال.

* * *

موقف واحد أركزّ عليه تحليلى الآن :

يوسف فى السجن .

على الرغم من أنه برَىء ، عفّ القلب واللسان .. كريم وابن الأكرمين من الأنبياء – يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

ثبتت براءة يوسف بالدليل القاطع ، والأدّلة المقنعة ألقت عليه الاتهام « امرأة » ذات حسن ومكانة .

صوّرت المشهد بدهاء ومكر النساء ، وتبعًا لقانون العقوبات فى ذلك الزمان الموت أو السجن وسوء العذاب .

لكن سبحانه مظهر الحق ..

وشهد شاهد من أهلها .. صدق يوسف وكانت من الكاذبين .. الخيانة واضحةً ، والافتراء معلّقٌ برقبة فتًى عفيف نضير .. لكنهم – كالعادة فى البلاط والقصور – تعوّدوا أن يخفوا الفضائح ، ويزيحوا دليل البراءة ، ويكتموا الحق وهم يعلمون .

(بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّه حتى حين)

أودع يوسف السجن كالجوهرة النادرة ، هبط إلى قاع الأرض وديعةً غاليةً مخبوءةً عن كيد النساء القادرات ومكرهن .. وعن الشراهة والجشع والزيف .

وسبحان الله العظيم .. لقد قالها يوسف الصديق ، هتف بها وهو فى أعماق المحنة . والأيدى الآثمة تشدّه إلى التردّى إلى قاع الخطيئة

والمعصية ، قالها الفتى النضير (ربِّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه) هتف بها كلمة سواء ، كأنها قدّت من نور وسجّلت فى اللوح المحفوظ .

لقد اختار ..

والاختيار حريّةٌ .

السجن إذن حريّةٌ ، أحبّ إليه من أن يرتع فى الخيانة ، ويصعد فوق كتفى امرأة مبتذلة ، اختار ليحرّر إرادته وإنسانيته ويحافظ على عفته واستقامته .. السجن أحبّ إليه من إهدار كيانه كإنسان .. وخيانة نفسه والرجل الذى أكرم مثواه ..

وفتح السجن أبوابه وابتلع الشهيد البرىء ، مثل غيابة الجبّ .. أو فم الحوت .. « ظلمات فوق ظلمات » .. أو حالق الضياع .. لم يكن أمامه مخرج ، ولا طاقة فرج .

لا خروج .. سجين إلى الأبد .

ليس أمامه إلّا أنّ يموت ببطء وصبر .

مات العزيز ، وتغيرت إدارة السجن ، والكل يذهب ويجىء .. تثبت البراءة أو يوفّى مدّة العقوبة أو يعدم ، أو ينتظر الإفراج .. لكن يوسف : سجين بلا أوراق ولا محاكمة ، ولا نصّ لعقوبة .. ولا قرار خروج ، ولا حتى عذاب الانتظار ..

غريب ، مشرّد .. جاء من الجبّ إلى العبودية ، شروه بثمن بخس ، وعاصر محنة « المراودة عن النفس » .

ولما أبى واستعصم زج بالسجن.

ليس له قريب فى وادى النيل، لا أحد يهتم بأمره، أو يسأل عنه أو يبحث ما ألمّ به.

ألقى به مرةً ثانية إلى غيابة الجب، وليس أمامه إلا الموت البطىء والصبر الطويل.

ياله من موقف.. قمة اليأس والإظلام.

لكنه ابتلاءٌ من الله واختبار.. ولا يصحّ لفتىً رائع، تمسّك بطهره وقهر نفسه.. وانتصر عليها أن ييأس من روح الله.

الله عندما يحبّ عباده، ويصطفيهم؛ يطهرهم على أناس العالمين، يدرّبهم فى مدرسة الصمود الإلهى والصبر الجميل، ثم ينجّيهم وينصرهم ويجعلهم آيةً للمتّقين وعلى مرّ العصور..

كان يوسف - من أولى العزم من الرسل:

صبر على الابتلاء..

كانت فترة السجن خلوةً للتفكير والتأمل، وذكر الله والاستزادة من العلم والمعرفة والاتصال بالآخرين، والتعامل بأنقى ما فى إنسانيته.

كان السجن خلوةً واعتكافًا للعبادة والمناجاة، وخدمة الآخرين كان يمارس عمله داخل السجن، ويعلّم المساجين: الأبرياء منهم والضحايا والخطاة والمذنبين.

•يقول لهم: (إنّى تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله).

وكان يواصل دعوته للتوحيد.. وعبادة الله الخالق البديع.
(أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار).

وذلك يبصّرنا أن الإنسان يستطيع أن يواصل رسالته ودعوته تحت أقسى الظروف ، ولا يتوانى عن أداء مهمّته مهما كانت القيود والملمّات.

كان السجن حريةً: لأنه اختاره وفضّله.

حماية من الانزلاق إلى الدنيا ، أو الصعود إلى أعلى المراتب مجلّلًا بالعار والمهانة والإثم.

السجن حرية بهذا المعنى.

مكان أفضل وأبهى وأرحب من كلّ قصور الدنيا والضياع والساحات المزدانة بالفة الفخامة والثراء.

واستجاب الله لدعائه..

فهل ييأس وينوح ، ويبكى موقفه الصامد..

قرّر أن يكون حبًّا وسلامًا للآخرين ، يدخل معهم فى حوار.. يناقشهم بالحجّة والموعظة الحسنة.. يدعوهم إلى الإيمان ، يدخل عالمهم يحلّل رؤاهم وأحلامهم وأفكارهم الباطنة والظاهرة..

هو فى موقف فقد فيه كلّ شىء ، حتى الأمل لا يبدو واضحًا.. لكنه كسب نفسه.

ومعه الله ، والله لا يضيّعه أبدًا.. تلك ثقته وإيمانه العميق.

كتب النصر والعزة لأوليائه الصالحين..

وطالت المدّة وأفرج عن كثير من أصحاب السجن، ولما أفرج عن ساقى الملك ؛ انتابه الضعف الإنسانى الجميل..

وقال له : اذكرنى عند سيدك ، اقصص عليه قصتى .. والظلم الذى وقع علىّ، وسجنى بلا خروج لكنها غلطة، فالبشر لا يملكون لبعضهم شيئًا.

- ولو اجتمعوا

وأراد الله به خيرًا..

أن يطيل من فترة التزكية والتدريب والتطهير..

ويظهر به تلك الحكمة الجليلة الفائقة.. لا تستعن بمخلوق مهما ، كان استعن بالله، واطلب من الله حاجتك ، هو وحده القادر على الإجابة.

وجعل صاحب السجن ينساه..

(فلبث فى السجن بضع سنين)

إلى أن حلم فرعون حلمه العجيب، وعجز السحرة والكهنة والمثقفون فى ذلك الزمان عن استجلاء رموزه وتحليل صوره.

هنا أمر الله الساقى أن يتذكّر، ويذكر يوسف الذى أعطاه الله علمًا وحكمة.

وقدر أن يحلل معنى الحلم، ويترجم صوره إلى رؤية واقعية، وخريطة مدروسة للواقع موصولة بحركة المجتمع.

ووجد برهان ربّه حاضرًا إذ نجّاه ونصره ، ومكن له فى الأرض .. ملكًا وعزّة ، ومسئوليةً يشيع فيها العدل والمساواة بين الناس ويكون هدايةً وسلاما للعالمين .

obeikandl.com

أسلمت وجهى لله

الله ..

(ليس كمثله شيء)

ويتعلق كل الحب الإلهى بهذه العبارة الربانية الباهرة – التى سمّى بها نفسه – وصاغها إعجازًا وتبيانًا لكلّ شيء.

(ليس كمثله شيء)

ونحن البشر عندما يغمرنا النور، ونجد أنّا قد شغفتنا « الذات العلية » حبًّا نريد لنستقبل وجهه، نولّى وجهتنا إلى المعبود الخالق بديع السموات والأرض.

والله واسع لا يتحدّد، ولا يحصر.

محيط يسع علمه كلّ شيء.

obeikandl.com

منزّه عن المادّة والجهة .. أعلمنا أن له ملك السموات وله المشرق والمغرب (فأينما تولوا فثم وجه الله) .

ولكنه رحيم ، عيّن لنا مكانًا سمّاه بيته .

وشرع لنا وجهةً نستقبلها لعبادته ..

حدّد اتجاهًا جامعًا للناس على أفضل الأعمال ، ويؤلف بين قلوبهم .

(وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمنًا واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى) .

أقام « إبراهيم » البيت .. وطهراه - هو وإسماعيل - للطائفين والعاكفين والركع السجود .

لكن الناس تباعدت عن ملّة إبراهيم ، واستحبوا العمى على الهداية فسكنت الكعبة الأصنام والحجارة .. لذلك لم تكن قبلة المسلمين الأولى إلى الكعبة بل المسجد الأقصى فى بيت المقدس .

وحتى يطهر الله بيته من الأوثان وبغى المشركين ، وكأنها مؤشر لمستقبل الدعوة الإسلامية ، وشارة مستقبلية تتم فيها النعمة ويكون النصر والغلبة لعباده المستضعفين ، فى الأرض - يمكّن لهم من دينهم ، ويبدّلهم من بعد خوفهم أمنًا .

وعدٌ قائمٌ - ووعد الله كان مفعولا - يعود المسلمون ويفتحون مكة ، وقلب الرسول كان يتعلّق بمكة .

كان يصلى جهة الجنوب مستقبلاً الشمال .. وكأنه يجمع

استقبال صخرة المسجد الأقصى ومكة..

لكن عندما هاجر إلى المدينة، تعذر عليه هذا الجمع..

ابتدأ الله سبحانه وتعالى قصة تحويل القبلة بالمفاجأة.. من النهاية أو من ذروة الحدث فيها، واحتدام الموقف، وقمّة الصراع وألقى الخبر المذهل وسط كل جوّ الترقب والتبتّل ونذر العاصفة.

يقول عز وجل:

(سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها).

فكأنما ألقى النبأ العظيم (تحويل القبلة) فى سياق ما يحدث من ردّ الفعل عليه مهد للأمر الجلل وبما سيقوله عنه « السفهاء ».. وما يثيرونه من فتنة وجدال، وأشار إلى الفرقة التى ستحدثها مسألة التحويل ذاتها..

وتلطفّ الله بنبيه الكريم والمؤمنين معه، وهداه بصيغة « الأمر والحب » إلى ما يقول ويفعل إزاء هذه المحنة الجديدة، والفتنة البالغة..

(قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم)

لقنهم الله حجةً بليغةً، وكلمة سواء.. ومنطقًا مقنعًا لما سيقع وهداهم إلى قاعدة إسلامية فائقة هى إعمال الفكر، وحسن تدبّر

الأمور واستخراج الحكمة من التجارب والمحن.. ينبثق ذلك عن يقين أن كل ما يصدر عن الله فهو خير وحق.

واضطرب ضعاف الإيمان، وفتنوا عن دينهم، وعادوا إلى الشرك وتمخضت المعركة - كما فصلّت الآيات بعد ذلك - عن نبذ تلك الفئات المضطربة ضعيفة الإيمان..

وعلم الناس موقعهم وأنفسهم بعد مرارة الابتلاء، وتطهر جيش الحق وشفيت الصدور بنور الهداية وجلاء البصيرة، وتمت اللياقة للدين المجاهد وللنضال.

● وما أحوجنا فى عصرنا الحالى إلى أن نستلهم هذه المواقف، ونحذر كيد « السفهاء » فى الخارج والداخل حتى نعود أمةً وسطًا - كما يحبّ الله لنا أن نكون - أى خيار وعدول.. معتدلين فى كل الأمور..

لا نفرّط ولا نغالى، ولا نجنح للتقليد والجمود على مظاهر الأشياء ودائمًا « السفهاء » « تشابهت قلوبهم » عبر العصور والأزمنة من قبل ومن بعد..

دائمًا يثيرون الزوابع ويجادلون ويوقعون بيننا لنختلف ونتفرّق شيعًا وينقلب فريق منا إلى الكفر، وهم فى كل قضية - محلية أو قومية أو عالمية - يجروننا للتفاصيل الفرعية، ولمنطق الأكروبات العقلية يبعدوننا عن تبيين حقيقة الأمر..

ويعظم الخلاف والجدل وتصير فتنة وتناحرًا على البقاء، دون العمل والسلوك.

متى نتعلّم ديننا؟

متى لا نهجر قرآننا؟ ونتزوّد من تلك الآيات البينّات.

ونتعلم من قصص أقوام سبقونا، كانوا أشدّ منّا قوةً وآثارًا ولكن أى منقلب ينقلبون..

* * *

نعود لأمر تحويل القبلة..

بعد ذلك الأسلوب المعجز من التمهيد والتصور، واجتياز الأزمة و« ثبوت علم الوقوع » أمام المؤمنين، يتولّى الله العظيم القول:

(قد نرى تقلّب وجهك فى السماء فلنولينّك قبلةً ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره).

هذا التبتل والتوجه هو الذى يتقبّله الله ويهدى قلب صاحبه.. من الله على رسوله « بقبلة يرضاها » وقرن هذا الوعد بصيغة الأمر، دليل على أمر التحوّل..

وما أجمل تلك الصياغة الربانية المعجزة، يزفّ الله الوعد والبشرى للرسول، وضمنًا للمؤمنين لكنه يؤكّده بتوجيهه إليهم أيضًا لتطمئن قلوبهم، وتشتدّ عزيمتهم ويصمدون..

بعد ذلك يعود إلى حال « السفهاء » مثيرى الفتنة والجدل

العقيم ومروجى قول السوء..

إن أهل الكتاب لديهم العلم، ويعرفون أنه الحق.. وهذا ما كان يحزن الرسول؛ فلو أن الخلط جاء من جانب الكفار لكان الأمر هينًا.. جبل العرب على احترامهم وإجلالهم وتهيّب علمهم.. ومن هنا جاء خطرهم.. الله يوضح الأمر - لرسوله والمؤمنين -

إنهم يعرفون الحق، لكنهم قوم معاندون يودّون لو يفتنون الناس عن دينهم الحق.. هذا هو الهدف.

لا تهمّ القبلة فى حدّ ذاتها.. وما فضل صخرة بيت المقدس على الكعبة؟

على العكس.. قبلة إبراهيم أجدى بالاجتماع عليها، لكن الهدف الأساسى ألا يظهر هذا الدين الحق..

يلقن الله عباده المؤمنين دروسًا عظيمة فى مدرسة النضال والجهاد والوقوف بجانب الحق.

ليس الأمر تنافسًا بالحجّة والمنطق، أو تقارعًا للبلاغة والقياس وإقامة البرهان والدليل..

لو أنك جئتهم بكل آية مبصرة ما اتبعوا ملتك، ولا قبلتك فلا يحزنك قولهم.

ويعود توجيه الخطاب للنبى بشدّة بالغة؛ أنه لو اتبع أهواءهم بعد الذى جاءه من العلم (إنك إذن لمن الظالمين)

حاشا لله أن يحيد الصادق الأمين.. لكن الوعيد هنا للمؤمنين ألّا

يظلموا أنفسهم، ويدخلوا فى حوار عقيم مع المكابرين ومحاولة إقناع الذات بالتظاهر، باتباع أهوائهم من أجل إقناعهم، أو جذبهم إلى طريق الحق..

يقول الأستاذ الإمام محمد عبده:

« هذا الوعيد لأعلى الناس مقامًا هو أشدّ وعيد لغيره ممن يتبّع الهوى ويحاول استرضاء الناس بمجاراتهم على ما هم عليه من الباطل ولو لغرض صحيح ».

قلت: وقد جرى ذلك فى عصور كثيرة وعهود.. فأى ذنب عظيم للذين يتبعون أهواء المتكبرين، ويتظاهرون بالعلم ويشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً؟

سدنة التبرير من يكتمون الحق، ويزينون الباطل هو موقف الخزى فى الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى.

دروس سياسية ودينية عظيمة، لا ينبغى لأحد من المؤمنين – بعد ما يتبين الحق – أن يفكر فى استمالة أهل الهوى والبغى.. حتى لو كان يرجو من ذلك فائدتهم، أو اتقاء مضرتهم، أو طموحًا لهدايتهم والتأثير عليهم فيما بعد.

هو ظالم لنفسه وللحق.

لابدّ إذن من التخلص من تلك النظرية السياسية القديمة « المهترئة » والتى تقول « إن الغاية تبرر الوسيلة ».

لقد ثبت فسادها وزيف أركانها..

كانت المبرر والمرتقى لكثير من السياسيين أنهم إنما يسايرون الخطاة حتى لا يعنوا فى جورهم، وقد يكسبون بوجودهم بعض المكاسب للناس، ويتمكنون من الهمس فى آذانهم - وبها وقرٌ دائمًا - فى ساعة صفو ليعودوا إلى سواء السبيل.

ثبت أن ذلك باطل، وموقف متردٌ متخاذل، وصمت عن الحق، لنثبت على الحق، ونجاهد بالقرآن جهادًا عظيمًا.

obeikandl.com